



الشيخ محمد باي بلعالم حياته وآثاره (1930 - 2009)
Sheikh Mohammed Bey Belalem, his life and effects
(1930-2009)

محمد فوزيل¹ * محمد كوشنان²

¹ جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر).

Foudil.mohammed@univ-medea.dz: البريد الإلكتروني المهني:

² جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر).

Kouchnane.mohammed@gmail.com: البريد الإلكتروني:

تاريخ النشر

2022/04/16

تاريخ القبول

2022/03/21

تاريخ الإيداع

2022/03/01

المخلص: يهدف هذا البحث إلى التعريف بالشيخ محمد باي بلعالم واكتشاف سيرته ومساره، وآثاره في حياته، وباستخدام المنهج الوصفي التحليلي. يتم البحث في آثار محمد باي بلعالم من مصنفات مطبوعة أو مخطوطة، فضلاً عن الأبحاث التي تناولت شخصية الشيخ وتعقبت سيرته، وبحثت آثاره، وقد تمّ التوصل إلى النتائج التالية: محمد باي بلعالم من الأعلام الجزائريين المعاصرين، ذاع صيته في الدّاخل والخارج، له مؤلفات في علوم شتى، حملت آراءه الفقهية، ونظراته الفكرية، ومناهجه التربوية والعلمية والإصلاحية؛ وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة ضرورة العناية بهذا العالم والاحتفاء به، والتعريف منجزاته وآثاره.

الكلمات المفتاحية: محمد باي بلعالم؛ حياته؛ سيرته؛ آثاره .

Abstract: This research aims to introduce Sheikh Mohammad Bay Belalem and discover his biography and path, and its effects on his life, using the descriptive analytical method. The effects of Mohammad Bey Belalem are searched from printed or manuscript works, as well as researches that dealt with the personality of the sheikh and traced his biography, and examined his effects, and the following results were reached: Various, carried his jurisprudential opinions, his intellectual views, and his educational, scientific and reform approaches; In light of these results, the study suggests the need to take care of and celebrate this scientist, and to define its achievements and effects.

Keywords: Mohammed Bey Belalem; his life; His biography, his effects

* المؤلف المرسل

مقدمة:

لقد درج على أرض الجزائر المباركة، على مرّ العصور والدّهور-قديماً وحديثاً- فيالق من أهل المعرفة، وجحافل من أساطين العلم، وأرباب الحجى، أبلوا بلاء حسناً أيام وجودهم، وخلفوا بعد رحيلهم إرثاً وتراثاً، يشهد على نبوغهم وتميزهم على من عاصرهم، أو عاشوا معهم، يعدّ ذلك إرث نتاج جهدهم المضني، وعصارة تجارب حياتهم، حيث تنوعت تلك الآثار الأدبية والفكرية والفلسفية والفقهية واللغوية، والتاريخية وغيرها، كلّها أسهمت في إثراء المكتبة الجزائرية خاصة، والمكتبة العربية الإسلامية عموماً، مما يستوجب العناية والدراسة والاهتمام به، بغية معرفة دقائقه وأسراره، والاستفادة منه في الحياة الراهنة .

ومن أولئك الأئمة الأعلام الذين تركوا بصمات في حياتهم، العلامة الشيخ محمد باي بلعالم الجزائري، شخصية يطرح إشكالية جوهرية، وفي الصميم، يمكن صياغتها في التساؤلات التالية:

- من هو محمد باي بلعالم ؟

- وكيف نشأة هذه الشخصية ؟

- وما هي أهم نشاطاته وأعماله وآثاره؟

- وما هي مكانته العلمية في عرف المهتمين وغيرهم؟

وعلى ضوء هذه التساؤلات تسعى هذه الدراسة جهدها إلى معرفة ما أمكن من الإجابات الشافية، المزيلة للإبهام، في إطار التعرف على الشيخ محمد باي بلعالم عن كثب، من خلال سيرته والآثار الطيبة التي خلفها وراءه، رغبة في معرفة ظروف نشأته، وتكوينه وتعليمه، وشيئاً من حياته، وأهم الأنشطة التي عُرف بها، والعلوم التي نبغ فيها وأتقنها، أو أَلّف فيها، أو الفنون التي كانت من صميم اهتماماته، فضلاً عن المكانة العلمية التي احتلّها في نفوس طلبته، وغيرهم من أهل العلم والمنتسبين إليه، تحقيقاً لهدف سام،

يتمثل في إنصاف الرّجل، ووضعه في المقام الأليق به، وإحياء لذكراه في نفوس المحبين، ولتعريف الأجيال الناشئة به، اعترافاً بفضلته، وعظيم أثره، تكريماً له، وإكراماً لجهوده، نشرأ لعلومه، لأنها رافد من روافد التّقافيّة والهويّة الوطنيّة الجزائريّة، وعلامة من العلامات مميزة للتّقافة العربيّة الإسلاميّة للفكر الإنسانيّ، لا يمكن تجاهلها ولا تجاوزها.

1. ترجمة للشيخ محمد باي بالعالم (1930م-2009م):

1.1 اسمه ونسبه ولقبه:

هو الشّيخ باي: أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبليّ الجزائريّ (المالكيّ المذهب) الشهير بالشّيخ باي، يرجع نسبه إلى حمير القبيلة العربيّة المشهورة باليمن. (باي، 2015، صفحة 361، 362).

2.1 مولده:

ولد الشّيخ محمد باي عام 1930م، في قرية «ساهر» من بلدية «أقبلي»، بدائرة أولف ولاية أدرار، بجنوب الجزائر، وله أربعة إخوة هو ثالثهم، كان والده محمد عبد القادر فقيهاً وإماماً ومعلماً. (باي، 2015، صفحة 361).

3.1 نشأته، وأسرته وتعليمه:

تربى محمد باي بلعالم في أسرة علميّة متديّنة، إهتمت بتعليمه، إذ بدأه بحفظ القرآن الكريم في مدرسة ساهر بأقبلي، على يد المقرئ الحافظ لكتاب الله الشّيخ محمد بن عبد الرّحمن بن المكيّ بن العالم، ثمّ قرأ على يد والده المبادئ النّحويّة والفقهيّة، ودرس على يد الشّيخ محمد عبد الكريم المغيليّ مدّة من الزّمن، ثمّ انتقل إلى زاوية الشّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السّباعيّ بقصر «سالي»، ومكثَ فيها سبع سنوات، قرأ فيها الفقه المالكيّ وأصوله، النّحو، والفرائض، والحديث، والتّفسير. (باي، 2015، صفحة 362).

4.1 إجازاته:

كان الشيخ محمد باي بلعالم القبلي الجزائري طالب علم، حريصاً في طلبه، مجتهداً في تلقيه للعلوم والمعارف، باذلاً كلَّ جهد من أجل التَّحصيل، والاستزادة والاستفادة من شيوخه، ومربيه، ومدرسيه، وخلال فترة دراسته تحصل على عدد من الإجازات منها:

- إجازة عامة من الشيخ الطاهر بن عبد المعطي عند انتهاء الدراسة.
- إجازة عامة من السيد الحاج أحمد بن محمد الحسن بأسانيد متعددة.
- إجازة من السيد علي البودليمي في الحديث النبوي الشريف.
- إجازة من الشيخ السيد محمد علوي المالكي المكي رحمه الله تعالى.
- شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من وزارة الأوقاف (الشؤون الدينية حالياً) عام 1971م.

5.1 شيوخه:

تلقى الشيخ محمد باي بلعالم دروسه الأولى كغيره من أترابه من أباء قريته "أقبلي"، وأمثاله من معاصره، ومن أبناء منطقته، على يدي ثلثة من الشيوخ والعلماء (باي، 2015، صفحة 383)، نذكر منهم من باب القصر لا الحصر، العلماء التالية أسماؤهم:

- والده الشيخ محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم (1298هـ-1372هـ).
- الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن المكي بن العالم المقرئ الحافظ (1310هـ-1365هـ).
- خال والدته الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي (1284هـ-1369هـ).
- خاله أحمد بن مالك (1323هـ-1416هـ).
- الطالب محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الشيخ حمزة (1259هـ-1335هـ).
- الشيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السباعي (1907م-1979هـ).

6.1 عمله ونشاطه:

وبعد أن تخرّج الشيخ محمد باي بلعالم من زاوية الشيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السباعي، انتقل إلى مدينة «أولف»، حيث قام بتأسيس مدرسة للعلوم الشرعية، سمّاها مدرسة مصعب بن عمير الدينية، تُعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدينية واللغوية، للمساهمة في رفع المستوى الثقافي الديني لدى أبناء وطنه إبان الاستعمار الفرنسي، وقد كان نظامها الدراسي خارجياً. (باي، 2015، صفحة 362).

ولما تغلّغت الثورة في الجزائر واستحكمت، قرّر الشيخ محمد باي إغلاق المدرسة مؤقتاً، خوفاً على طلبته من المعارك، التي كانت تدور آنذاك، ولمّا حصل الشعب الجزائري على حريته، ونالت الدولة استقلالها، واستتبّ الأمن وشاع الاستقرار، أعاد افتتاح المدرسة من جديد، لتستقبل الطلاب بأعداد كبيرة، وأضاف إليها قسماً داخلياً جديداً، وفي سنة 1964م، التحق بالسلك الديني، فأصبح من الناحية الرسمية إماماً وخطيباً ومفتياً ومدرّساً معترفاً به، موظفاً لدى الدولة في مسجد أنس بن مالك ومدرسة مصعب بن عمير الدينية. (باي، 2015، صفحة 363).

وفي عام 1971م، شارك في مسابقة وزارة الأوقاف التي أجرتها لمجموعة من المشايخ، لتحديد مستواهم العلمي، فتحصّل على شهادة تعادل الليسانس في العلوم الإسلامية، وفي عام 1981م، قام بتوسيع مدرسته، وأضاف إليها قسماً جديداً خاصاً بالإناث، فأصبحت تستقبل أعداداً كبيرة من الفتيات، على غرار ما تستقبله من الفتيان، وقام بتوسيع الأقسام الداخلية بحيث أصبحت تستوعب طلاباً من خارج البلاد. (باي، 2015، صفحة 363).

يتحدث الدكتور بن منوفي "عن خاله العلامة مشيراً إلى أنه كان كثير الترحال، وقد حجّ إلى بيت الله أكثر من 40 مرة، كان يسعى خلالها إلى لقاء الشيوخ والفقهاء من سائر البلاد العربية كما كان يستقبل في زاويته "مصعب ابن عمير" التي أصبحت قبلة

للدارسين والباحثين في الفقه وفي أصول المذهب المالكي التي تخصص فيها، الكثير من الشيوخ والفقهاء فضلاً عن الطلبة والباحثين في أقسام الماجستير والدكتوراه (شفيقة، ج. (02 03, 2022) إحياء ذكرى الشيخ محمد باي بلعالم (02. 10. 2022) ورغم انشغالاته وجسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقه، إلا أنه لم يتوقف عن التحصيل العلمي، فقد ارتحل إلى عدد من البلدان العربية، تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربية السعودية، والتقى فيها بعدد من طلبة العلم والمشايخ، أفادهم واستفاد منهم.

6.1 تلامذته (باي، 2015، صفحة 370):

- حمادي الطالب محمد بن المختار.
- ابن مالك أحمد بن محمد بن عبد الرحمن.
- عبد الرحمن الثابت بن علي.
- مبارك بن أبّ قادي قدي.
- أحمد بن محمد دادة .
- ابن مالك عمر بن مالك.
- إبراهيم بن عبد الرحمن حفصي.
- بختي محمد علي.
- عبد الرحمان السكوتي بن أحمد.
- أحمد بن موسى بلبالي .
- الطالب محمد قدي.
- الطالب عبد الله بن عبد الرحمن حامد الأمين. (باي، 2015، صفحة 363).

7.1 وفاته:

توفي الشيخ محمد باي بلعالم يوم السبت التاسع عشر أبريل من عام 2009م، الذي وافق 23 ربيع الثاني 1430هـ (بلعالم، 2021) في منطقة أولف، ودفن بها - رحمه الله

تعالى- وأسكنه فسيح جنّاته. بعد (79 سنة) كلّها عطاء وفي خدمة لكتاب الله، وتنوير لعقول النَّاس وإرشادهم.

رحل الشيخ محمد باي بلعالم تاركاً فراغاً رهيباً، يعزّز تعويضه في السّاحة العلميّة والفقهية والدّعوية، وعلى الأصعدة الثلاثة: المحليّ والوطنيّ والعالميّ، فقد ذاع صيته في الآفاق، وعمّت شهرته في البوادي والحوضر، مما جعل أتباعه ومريديه ينظّمون مناسبات علمية، كالملتقيات والندوات السنوية خاصة بسيرته، محاولين ما وسعهم الجهد، إحياء ذكراه في النفوس، مسلّطين الضّوء على آثاره وتراثه، علّ تلك المناسبات تكشف لهم ما ستر عنهم وقت حياته، وكذلك لتُحفظ صورته، وشذى سمته في أذهان من رأوه، أو عرفوه وأحبوه وتعلقوا به، أو تنقل درّة من دُرر إرثه، ومنجزاته العلميّة والدّعوية للأجيال المتعاقبة.

2. مؤلفاته وآثاره الشيخ محمد باي بلعالم ورحلاته :

1.2 مؤلفاته في علوم القرآن و الحديث والفقه :

ألّف الشيخ محمد باي بلعالم في فنون عديدة، إذ فاقت مؤلفاته (40) كتاباً وبمختلف الأحجام، فكتب في الشعر، النّظم، النثر والشرح وحقق في علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله والتزكية والتّصوف، والميراث، والسيرة، والتّاريخ، والوعظ والإرشاد والتّوجيه...). ومنها (15) مؤلفاً في الفقه المالكيّ (مدونة العواصف الشمسية، 2017)، نذكرها كما ودت في ترجمته، والتي حواها مؤلفه المشهور "الرحلة العلية" وهو كتاب غني عن التعريف.

1.1.2 علوم القرآن:

لقد أهتم الشيخ محمد باي بلعالم بالقرآن الكريم، تعليماً وتفسيراً، بل كرّس حياته كلّها من أجل تحفيظه، ودعوة النَّاس إلى العناية والاهتمام به، وحثّهم على تعليمه لأبنائهم، في هذا القسم من العلوم الشرّعية، نجده الإمام قدّ ألف فيه مؤلّفين هما:

1 - ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم (جزءان).

2 - المفتاح النوراني على المدخل الرباني في الغريب القرآني. (بلعالم، 2015، صفحة 364).

2.1.2 علوم الحديث:

وهو نوع من العلوم الشرعية، التي اهتم بدراستها ومدارستها، قراءة وشرحاً، حيث كان يقرأ صحيح البخاري بشكل دوري، ويعقد لختمه حفلات، وألف في هذا اللون من العلوم، مصنفاً واحداً:

- كشف الدثار على تحفة الآثار. (بلعالم، 2015، صفحة 364).

3.1.2 علم الفقه المالكي:

في هذا الصنف من العلوم الدينية، كان باع الشيخ محمد باي بلعالم طويلاً في التأليف، حيث أحصى له ما يرنو عن ثلاثة عشرة كتاباً، حملت العناوين التالية:

- زاد السالك شرح أسهل المسالك (جزآن) مطبوع بدار ابن حزم بلبنان. ملتنقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للمسالك شرح فتح الرحيم المالك (4 أجزاء) .
- فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك (ألفية في الفقه عدد أبياتها 2509)
- الجواهر الكنزية نظم متن العزوية.
- السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية.
- الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضرى.
- الإشراق البدرى شرح الكوكب الزهري.
- المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية.
- أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق (مناسك).
- إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي على مهمات من مختصر خليل (4 أجزاء) طبعة دار الحزم بلبنان.

- مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح على نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي القماري على مختصر خليل المسمى جواهر الإكليل (10 أجزاء). (بلعالم، 2015، صفحة 364).

لقد استعرض الشيخ محمد باي بلعالم في هذه الكتب الفقهية أفكاره، كاشفاً عن مواقفه في المسائل الفرعية، وموضحاً موقفه في الكثير منها، بالشرح والتعليل، وتقديم البرهان والدليل، مقيماً الحجة على مخالفه أو معارضيه في بعض المسائل الفقهية.

4.1.2 علم الفرائض (المواريث):

كان لعلم المواريث نصيباً من التدوين، إذ حرر فيه الشيخ محمد باي بلعالم خمس مدونات، تراوحت بين النثر والنظم، اجتهد فيها الشيخ جهداً كبيراً بين التدوين الشعري للأفكار في نطاق الشعر التعليمي تارة، والبسط تلك الأفكار نثراً وشرحاً تارة أخرى، نورد عناوين تلك المصنفات الخمس فيما يلي:

- الدرّة السنية في علم ما تتركه البرية (نظم).
- الأصداف اليمية شرح الدرّة السنية.
- كشف الجلباب على جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب.
- فواكه الخريف شرح بغية الشريف في علم الفرائض المنيف.
- مركب الخائض على النيل الفائض في علم الفرائض. (بلعالم، 2015، صفحة 365).

5.1.2 أصول الفقه:

أمّا في علم الأصول فقد كان الشيخ محمد باي بلعالم صولياً في فكره، يرد آراءه الفقهية إلى أصولها في هذا العلم، ومستفيداً ممن سبقوه لهذا المجال، شارحاً لبعض منجزاتهم الأصولية، محرراً في هذا العلم مصنفين، هما:

- ركائز الوصول شرح على منظومة العمريطي في علم الأصول.

- ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول. (بلعالم، 2015، صفحة 365).

2.2 مؤلفاته في السيرة النبوية والنحو والتاريخ والفتاوى والأدب :

1.2.2 السيرة النبوية:

لقد ألف الشيخ كتاباً واحداً في ميدان السيرة النبوية ضمته سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما انضوى تحتها من جوانب حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، من ولادته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، وُسِمَ ذلك الكتاب بالعنوان التالي:

- فتح المجيب على سيرة النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم. (باي، 2015، صفحة 366).

2.2.2 النحو:

وكما عُرف الشيخ محمد باي بلعالم باهتمامه بعلم الفقه وأصوله، وعلم الميراث، اشتهر كذلك بعناية الفائقة لعلم النحو وقواعده، إذ لنا ترك ست مدونات تراوحت بين النظم والنثر، والشرح والتوضيح، تبسيطاً وتسهيلاً لدار سيعلم النحو، وما اتصل به من علوم اللغة العربية، حملت العناوين التالية الذكر:

- اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم.

- كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم.

- منحة الأتراب على ملحّة الإعراب.

- الرّحيق المختوم شرح على نزهة الحلوم.

- التحفة الوسيمة على الدرّة اليتيمة.

- عون القيوم على كشف الغموم. (بلعالم، 2015، صفحة 366).

من اللفت للأنظار أنّ منجزات الشيخ النحوية اهتمت بتحول بعض المصنفات النحوية المشهورة من النثر إلى النظم والعكس، وهي مصنفات أُعتمدت بشكل أساسي في حقل التدريس بمنطقة توات مثل:

- "متن الأجرومية" لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجيّ المشهور بغبن أجروم.

- "ملحة الإعراب" لأبي القاسم بن علي الحريري البصريّ.

- "نزهة العلوم" و "كشف الغموم" لمحمد بن آّب بن حميد بن عثمان المزمريّ التّواتي.

- " الدرّة اليتيمة" لسعيد بن نبهان الحضرميّ.

وهي مدونات تعليمية، ميسرة للحفظ، يُشترط على طالب علم النحو حفظها حفظاً جيداً واستظهارها، لأنها تُعدّ بمثابة المداخل الأولى والأسس الرّئيسيّة لتعلمه والتّبحر فيه.

3.2.2 التاريخ:

اهتمّ العلّامة محمد باي بلعالم بالكتابة التاريخيّة، وذلك ما دلّت عليه عناوين كتبه الثلاثة، المعنونة كما يلي:

- الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات في (جزأين).

- قبيلة فلان في الماضي الحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر.

- الغصن الدانيّ في حياة الشّيخ عبد الرّحمن بن عمر التّتلاني. (بلعالم، 2015، صفحة 367).

4.2.2 الفتاوى:

للشّيخ محمد باي بلعالم "فتاوى شفهيّة وكتّابية حول أسئلة ترد عليه بواسطة الهاتف، والرّسائل ذكر بعضها في رحلاته، منها:

- انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس". (بلعالم، 2015، صفحة 367).

5.2.2 الأدب:

- له مجموعة من المراثي الشعرية (فوضيل، 2018م، صفحة)، وعددها ثمانية، خصّ بها بعض علماء منطقة توات، وردت في الأسماء التالية :
- مراثيتان في شيخه مولاي أحمد الطاهري السباعي (1907م-1979م).
 - مراثية الشيخ محمد بلكبير (1911م - 2000م).
 - مراثية الشيخ عبد العزيز سيدي عمر شيخ مهديّة (1924م-2008م).
 - مراثية الشيخ مولاي محمد الرقاني الفقيه (1931م-2006م).
 - مراثية الشيخ الطالب الزاوي (1940م-2008م).
 - مراثية الشيخ الحاج عبد القادر بكر اوي بومناس (1931م -2008م).
 - مجموعة قصائد مضمونها الرد على قصائد وصلته من أصدقائه.
 - قصيدتان في الرد على أغاز بعث له بها الشيخ أحمد الطاهري السباعي.
 - قصيدتان في الرد على الملحد سلمان رشدي.

3. منجزاته في التعليم والدعوة والوعظ والإرشاد والتوجيه والرحلة:

1.3 التعليم والدعوة والوعظ:

- وجد للشيخ محمد باي بلعالم آثاراً في التعليم والوعظ والإرشاد والتوجيه، من أهمها ما يلي:
- محاضرة بعنوان "كيفية التعليم القرآني والفقهية في منطقة توات).
 - محاضرة في الدعوة والتوجيه والإرشاد في مساجد (ورقلة، تمرّاست، عين صالح، أولف...).
 - محاضرة في الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي ألقاها في مركز الأرشيف في الجزائر العاصمة.

دون أن يغفل له الكثير من المواضيع المخطوطة، واللقاءات التليفزيونية، والندوات الفكرية، والمحاضرات العلمية، والدروس الوعظية الرمضانية.

2.3.3 الرحلات:

- له عشرون رحلة مسجلة للحج والعمرة وله عشرون رحلة للحج لم تسجل
- له رحلة إلى المغرب الأقصى.

لقد ذكر في هذه الرحلات، الوقائع و العلماء والشخصيات التي اجتمع بها في تلك الرحلات.

لقد عرف الشيخ محمد باي بلعالم بكثيرة الترحال والأسفار، وفي اتجاهات متعددة ومتباينة، إذ "سافر إلى عدة بلدان في داخل الوطن وخارجه، وكانت له لقاءات مع العلماء وطلبة العلم، مفيداً ومستفيداً، فزار تونس والمغرب الأقصى، وليبيا، والمملكة السعودية (صاري، 2017م)، وبسحب ما أورده في كتابه الرحلة العلية، والذي يُحصى لنا فيه عدد رحلاته نحو البقاع المقدسة، حيث كانت "له عشرون رحلة مسجلة للحج والعمرة، وله عشرون رحلة للحج لم تُسجل" (باي، 2015م، ص367). فكانت "أول زيارة له إلى المملكة السعودية من أجل أداء فريضة الحج سنة 1964 م، ليعود إليها سنة 1974 للمرة الثانية، ومنذ ذلك العام لم يتخلف عن أداء هذه الفريضة". (صاري، 2017م).

متخذاً بعض تلك الرحلات الحجازية مصدراً لتحرير مادة كتابه المذكور آنفاً، معنوناً لها بالعناوين التالية :

- رحلة الشيخ للحج سن 1415هـ لـ1995م.
- رحلة الشيخ للحج سن 1423هـ .
- رحلة الشيخ للحج سن 1424هـ.

وفي هذا المقام، تجد بنا الإشارة، التأكيد على معلومة تُفيد ، بأنّ كل تلك الرحلات التي قيدها الشيخ محمد باي بلعالم، على غرار بحثه الرحلي الموسوم بالعنوان الموالي:

- بحث في تاريخ رحلة إلى تينلان وما حولها من قصور توات للدراسة والبحث.
(بلعالم، 2015م، ص581).

لا يزال معظمها في صورته مخطوطاً لم يُطبع بعد، فهو في شكل مذكرات
ومسودات (الرحمان، 2021م. هذا ما أثبتته وأكدّ عليه أمين خزانة زاوية الشيخ محمد باي
بلعالم بمسجد مصعب بن عمير، الشيخ حامد الأمين عبد الله.

دون أن نغفل رحلاته الأخرى والتي جاب فيها أصقاعاً عديدة، مما يشي هذا العدد الكبير
من الرحلات، إلى تعدد نشاطاته، والتي رُسمت في المتلقيات الفكرية، والمحاضرات
العلمية، والجلسات الدعوية، واللقاءات الإصلاحية والأخوية والبيئية، وبتعددتها كذلك،
تعددت معها أهدافها، فعلاوة على مقصديته من الرحلة إلى أراضي الحجاج لأداء
الفريضة، وسنة الاعتمار، كان يسعى في التعرف على العلماء، وذوي الشأن، من طلبة
العلم والصالحين الوافدين، من كلّ حذب وصوب، مغتنماً فرص التلاقي بهم، وكان الشأن
ذاته، حينما يسافر إلى المغرب الأقصى، وتونس، وليبيا، فيما يرحل طالباً للمعرفة، أو
مؤطراً لمحاضرة، أو عضواً ندوة، ومشاركاً ملتقى، أو متجولاً بين ولايات الجزائر،
ومناطقها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية، على حد سواء، زائراً للأصدقاء
والأحباب وأهل الأفضل والأخيار، يحدوه في ذلك كله، البحث عن المعرفة، وتقصي
الأخبار، والصحيح من الروايات، ودقيق الحقائق، ونشر العلم، والدعوة إلى الله سبحانه
وتعالى، مدفوعاً برغبة الاستكشاف، إذ "صرفَ لحظات عمره في طلب العلم وتعليمه
ومطالعة كتبه، فكان لا يملّ ولا يفتر من المطالعة ومن قراءة القرآن ليل نهار، وكان
حيثما حلّ وارتحل إلاّ وتجد معه أكواماً من الكتب". (بلعالم، 2015م، ص249).

3. مكانة الشيخ محمد باي بلعالم العلميّة، واهتمام الباحثين بآثاره:

1.3 مكانة الشيخ محمد باي عند بعض العلماء من معاصريه:

يقول الأستاذ يوسف بن حفيظ في شأن الشيخ محمد باي بلعالم في 2006م: "عالم من علماء الإسلام عاشوا ما يزال للعلم مرابطاً في ثغرة النائي خادماً للعلم الشريف، منقطعاً له، فهو المؤلف الذي جمع فأوعى، فقد ألف عشرات الكتب في شتى العلوم والفنون، وهو المعلم المتميز صاحب المدرسة العصريّة، التي تحفظ القرآن العظيم، وتعلم العلم، وهو المحاضر والواعظ المتجول للدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وهو بحق من العلماء العاملين الربانيين". (بلعالم، 1433هـ، ص 73، 72).

يقول الشيخ عبد الرحمن بكر اوي في الشيخ محمد باي بلعلم: «هو علم من أعلام المنطقة ومرجعية من مرجعياتها العالم الكبير الجامع بين الورع والكرم المتصف بالأدب والوقار المعروف بسعة الدراية، وضبط الرواية صاحب الحافظة القويّة والذكاء الثاقب الكاتب المبدع والشاعر المفلق، الفقيه المحقق، والمؤرخ المدقق الشيخ: محمد باي بن الشيخ محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي». (باي، 2015م، ص 38).

وكما يقول في وصفه الشيخ يوسف بلمهدي: «الرجل الفياح شيخنا العالم باي بلعالم». (بلعالم، 2015م، ص 42).

ويقول في الشيخ عبد الكريم الدباغي: «العلامة النحري، والجهيد المنير، الشيخ محمد باي بلعالم، هذا الرجل الذي يتميز بسعة العلم ويارع القلم بمقدار قلما يجتمعان لغيره». (بلعالم، 2015م، ص 51).

ويذكره الاستاذ محمد زميلات بقوله: «الشيخ محمد باي بلعالم ، أحد أعلام الجزائر ودعاتها إلى الحق والهدى والنور، تخرّج على يديه عشرات الطلبة جلهم من منطقة توات، وألف زهاء 40 كتاباً، في الفقه، وعلوم القرآن، والتاريخ، والنحو، ومصطلح

الحديث، والسيرة النبوية... بعضها في جزئين ، وبعضها في ثلاث ، وبعضها في أربع ،
وبعضها في 10 أجزاء». (زميلات، 2020م)

2.3 تظاهرات ومناسبات تكريمية للشيخ محمد باي بلعالم:

نظّم محبو الشيخ محمد باي بلعالم من طلبته والمتأثرين بشخصيته عدة لقاءات
وتظاهرات علمية ومناسبات فكرية، جاءت إحياء لذكرى الشيخ في النفوس، وتخليداً
لمآثره ولمناقبه وخصاله، وتكريماً لشخصته العلمية الفذة، سَطرت فيها برامج ثرية،
سلطت الأضواء على حياة العلامة محمد باي بلعالم من ولادته عام 1930م حتى وفاته
2009م، متبعة سيرته ومسار حركاته، ونشاطاته، ونذكر من تلك التظاهرات العلمية، ما
يلي:

1.2.3.1 الملتقيات:

تمكن القائمون بالأعمال في مدرسة القرآنية، والتي أسسها الشيخ محمد باي، وتولى
التدريس بها، والتابعة لمسجد مصعب بن عمير الكائنة مقرّها بالركينة زاوية حنون بمدينة
أولف ولاية أدرار من تنظيم ثلاثة ملتقيات وطنية، بعد رحيل الشيخ محمد باي بلعالم،
نوردها متتالية في العناوين التالية:

-الملتقى الوطني الأول حول حياة الشيخ محمد باي بلعالم وآثاره، عُقد في أبريل
2013م.

- الملتقى الوطني الثاني حول حياة الشيخ محمد باي بلعالم عقد يوم: 11 أبريل
2015.

-الملتقى الوطني الثالث حول حياة الشيخ محمد باي بلعالم، عقد يوم: 16 أبريل 2016م.

2.2.3.2 الندوات:

- الندوة الوطنية الأولى حول حياة الشيخ محمد باي بلعالم (1930م-2009م). عقدت
في 11 أبريل 2015م.

- ندوات محلية مصغرة تقام كل سنة بالمسجد يشرف عليها طلبة وخريجو المدرسة القرآنية من تلامذة الشيخ محمد باي بلعالم.

3.3 المنشورات والمنجزات العلمية والأكاديمية:

بالرغم من ذبوع صيت العلامة الشيخ محمد باي بلعالم داخل الوطن وخارجه، في بلاد المشرق، والمغرب الإسلاميين، وكذلك في أقطار إفريقيا المسلمة، لكن مكانته العلمية لدى أغلب الدارسين والباحثين وطلبة العلم، لا تزال ناقصة ومتواضعة، بل دون المستوى المأمول، بيد أننا لا يمكننا أن نغض الطرف عن بعض الأبحاث الجادة، والمنجزات العلمية هنا وهناك، تتمثل في شكل بعض مقالات صحافية، ومدخلات أكاديمية، ومذكرات الليسانس والماستر، والدكتوراه، تحاول في مجموعها، نفض الغبار على هذه الشخصية، وبغرض التعريف بالشيخ وآثاره، ومعرفة مناقبه وخصاله، وإسهاماته المعرفية، ووضعها في المكان الحقيقي واللائق بشخصيته العلمية، نظير جهوده الجبارة في خدمة الوطن والدين والإنسانية جمعاء، نورد بعضها، من باب القصر لا الحصر، فيما يلي:

1.3.3 المقالات العلمية:

- عبد الله عماري، الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في شرح ملحّة الإعراب للحريري، مجلة إشكالات، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد 05، أبريل 2014م، صص (101، 115). (عماري، 2014م، صفحة 101).

- عبد القادر بقادر، علماء نوات وإسهاماتهم في حفظ التراث النحوي محمد باي بلعالم أنموذجاً، مجلة الذاكرة، العدد 07، ماي 2016م، صص (43، 63). (بقادر، 2016م، صفحة 43).

- زهور شتوح، منهج الشيخ محمد باي بلعالم في التعليل النحوي، قراءة تحليلية على المقدمة الآجرومية، مجلة تاريخ العلوم، العدد 09، السنة 2017م، صص (80، 90). (شتوح 2017م، صفحة 80).

- محمد أمين مولوج، جهود نحاة القطر الجزائري في تيسير الدرس النحوي من خلال منظومات المقدمة الأجرومية، منظومة الشيخ محمد باي بلعالم، أنموذجاً، دراسات لسانية، المجلد 02، العدد 09، 10 جوان 2018 م، ص ص (249،264). (مولوج، 2018م، صفحة 249).
- محمد دباج، جهود علماء الجزائر في التأليف الفقهي والأصولي الشيخ محمد باي بلعالم أنموذجاً، مجلة الدراسات الفقهية والقضائية، المجلد 05، العدد 02، السنة 2019م، ص ص (29،36). (دباج محمد، 2019م، صفحة 29).
- محمد بلعالم، الشيخ محمد بلعالم وإسهاماته العلمية، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 02، السنة 2019م، ص ص (67،87). (بلعالم، 2019م، صفحة 67).
- العيد مليكي، دلالة المصطلح النحوي في الشروح النحوية لدى (الشيخ محمد باي بلعالم)، دراسات لسانية، المجلد 03، العدد 03، سبتمبر 2019م، ص ص (192،238). (مليكي العيد، 2019م، صفحة 192).
- عيسى شاغة، ملحة الأتراب "للشيخ محمد باي التواتي" قراءة في منهج الشرح، مجلة مقامات، المجلد 05، العدد 01، السنة 2021م، ص ص (359،379). (عيسى، 2021م، صفحة 359)

2.3.3 المداخلات في المنتقيات:

- لخضر الحمد لزرق، الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في شرح كتاب (تحفة الآثار في مصطلح حديث النبي المختار) لمحمد الأمين بن القرشي، الملتقى الدولي الأول حول "جهود علماء المالكية في خدمة السنة النبوية وقضاياها المعاصرة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، يومي 06/05 نوفمبر 2018م.

– محمد فوضيل، الأثر الثقافي والاجتماعي في أدب الرحلة الجزائرية "الرحلة العلية" لمحمد باي بلعلم، أنموذجاً، الملتقى الوطني حول "الأدب الرحلي الجزائري"، قضايا وإشكالات، جامعة باتنة 01، يومي: 26 / 27 جوان 2021م.

3.3.3 مذكرات الليسانس والماستر:

– محمد فوضيل، مرآتي الشيخ محمد باي بلعلم، دراسة أسلوبية، مريثته في الشيخ عبد القادر بكاروي أنموذجاً (مذكرة ماستر)، إشراف محمد بن عبو، جامعة أحمد درارية، أدرار-الجزائر، الموسم الجامعي: 2017م/2018م.

– منيرة سعودي، الشيخ محمد باي بلعلم وجهوده العلمية (مذكرة الماستر)، إشراف الطاهر أعمار الأدم، جامعة الشهيد حمّة لخضر، الوادي-الجزائر، الموسم الجامعي: 2017م/2018م.

4.3.3 رسائل الماجستير :

– منير بدوي، الجهود النحوية عند محمد باي بلعلم، إشراف أحمد جلايلي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة-الجزائر، الموسم الجامعي: (2009م - 2010م).

– أسماء ابلالي، الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعلم بإقليم توات (1348هـ-1430هـ/1930م-2009م)، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، الجامعة الإفريقية أحمددرارية بأدرار- الجزائر، الموسم الجامعي: (1433هـ-1434هـ/2014م-2015م).

– حمزة أبا الحبيب، إشكالات رقمنة المخطوطات بالجزائر زاوية الشيخ محمد باي بلعلم والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار أنموذجين، إشراف محمد صاحبي، جامعة أحمد بن بلة-جامعة وهران، الموسم الجامعي: 2014م - 2015م.

5.3.3 أطاريح الدكتوراه :

- فاطمة جريوا، الجهود اللغوية لمحمد باي بلعالم في ضوء الدراسات اللسانيات الحديثة، إشراف أحمد عزوز، جامعة وهران-الجزائر، الموسم الجامعي: 2014م-2015م.

5.3.3 الكتب:

- فاطيمة خيرالله، المنهج التعليمي عند الشيخ محمد باي بلعالم من خلال نماذج من كتبه، صدر عن دار الدواية للنشر، 2021م.

خاتمة:

وصفوة القول، بعد هذه النظرة السريعة حول العلامة الشيخ محمد باي بلعالم، والرامية للتعرف على حياة الشيخ وآثاره التي تركها بعد رحيله - يمكننا الوقوف على النتائج التالية :

1. الشيخ محمد باي بلعالم عالم جزائري حديث معاصر (1930م-2009م)، عاش في القرن العشرين الميلادي بالجنوب الصحراوي الجزائري، في المنطقة التواتية، ولاية أدرار بالتحديد.
2. شخصية الشيخ محمد باي بلعالم شخصية مؤثرة و متميزة، عُرفت بالموسوعاتية المعرفية وسعة الثقافة، طُبعت بتعدد وكثرة النشاطات العلمية والفكرية، والرحالية والدعوية والإصلاحية، ولها حضور متميز .
3. للشيخ محمد باي بلعالم بصمات وجهود وإسهامات في إطار التأليف والتأصيل والتجديد، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وذلك ما حوته كتبه المتنوعة التخصصات (علوم القرآن، الحديث، الفقه، أصول الفقه، الميراث، النحو، الأدب، والتاريخ ، الرحلة....).

4. لم ينل الشيخ محمد باي بلعالم حظّه من التّكريم والتّقدير بالقدر الكافي، بالرغم من غزارة علميه، وكثرة انتاجاته العلميّة وإسهاماته وجهوده المتنوعة والمختلفة، وشهرته في الآفاق.

5. وجود بعض التظاهرات المحتشمة، والكتابات حول الشيخ محمد باي بلعالم، تحاول جهودها من أجل التعريف بالشيخ وإنصافه، ومنحه المكانة العلميّة اللائقة بمقامه.

توصيات :

- ضرورة التعريف الشيخ محمد باي بلعالم تكريماً له واحتفاءً به، ووفاءً له، عرفاناً لما قدّمه خدمة لدينه ووطنه أمته.

- الاهتمام بآثار الشيخ والعناية بها: تحقيقاً ودراسةً وطبعاً ونشراً.

- ضرورة مدارس فكره ومناهجه في مختلف العلوم، لكونها تتميز بالوسطية والاعتدال.

وجب العودة إلى آثار الشيخ محمد باي بلعالم، من أجل الاستفادة منها، والاستعانة بها في حلول المسائل، والقضايا الفقهيّة المشابهة أو المعاصرة، لأن الشيخ كان يجمع بين الأصالة

5. قائمة المراجع:

بقادر عبد القادر. (ماي، 2016). علكاء توات وإسهاماتهم في حفظ التراث النحوي محمد باي بلعالم أنموذجاً. مجلة الذاكرة ، الصفحات 43-63.

بلعالم محمد باي. (1433هـ). إرشاد الحائر إلى مهرفة قبيلة فلّان في جنوب الجزائر.

بلعالم محمد باي. (2015). الرحلة العليّة. الجزائر: المعرفة الدولية للنشر و التوزيع.

زميلان محمد. (18 أبريل، 2020). الشيخ محمد باي بلعالم ، العلامّة المغمور في بلده. تاريخ الاسترداد

25 فيفري، 2021، من عبد الحميد بن باديس باني النهضة العلميّة والفكريّة بالجزائر 1889م-

1940م: <https://binbadis.net/archives/10572>

شاعرة عيسى. (200). ملحّة الاتراب " الشيخ محمد باي بلعالم-قراءة في منهج الشرح. (عيسى،

المحرر) مجلة مقامات (المجلد 03، العدد 01).

الشيخ محمد باي بلعالم. (19, 04, 2021). الشيخ محمد باي بلعالم. تاريخ الاسترداد 04 2021, 2021، من الصفحة الرسمية، فيسبوك: <https://www.facebook.com/122599804523190>
صاري يحيى بدر الدين. (26 أوت, 2017). ترجمة العلامة محمد باي بلعالم الجزائري. (صاري يحيى بدر الدين، المحرر، ترجمة العلامة محمد باي بلعالم الجزائري، المنتج، و المكتبة) تاريخ الاسترداد
02 26, 2022، من المكتبة الشاملة: <https://shamela-dz.net/?p=448>
عبدالله عبد الرحمان. (16, 04, 2021). عبد الله عبد الرحمان. تاريخ الاسترداد 16, 04, 2021، من
صفحة الفايسبوك الشخصية لعبد الله عبد الرحمان:
<https://www.facebook.com/profil.php?id=100002696420250>
عمارى عبد الله. (أبريل, 2014م). الشيخ محمد باي بلعالم و منهجه في شرح ملحّة الإعراب للحريري.
مجلة إشكالات ، الصفحات 101-115.